الفصل الثالث
الانحسار والتحول إلى أشكال أخرى

تميزت المرحلة التاريخية (١٩٤٨ - ١٩٦٤) من مراحل الماسونية في مصر ببعض التغيرات الجوهرية التي أثرت في مسار الماسونية في مصر وحركتها. ولا ريب أن أهم هذه المتغيرات كان ظهور إسرائيل، وهجرة أعداد كبيرة من اليهود إليها، وقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتغييرها لوجه الحياة في البلاد، وجلاء الإنجليز في يونيو ١٩٥٤.

وبهذه التغيرات فقدت الماسونية مساحة كبيرة من الأرض التي تقف عليها، ومن خلالها انطلق الكتاب في التأكيد على الربط بين الماسونية والصهيونية الذي ظهرت بوادره في المرحلة السابقة، وزادت كثيرًا ظنونهم وهواجسهم - وهو ما جعل الماسونية تمر بثلاثة تطورات أساسية في هذه المرحلة:

أ- ازدياد الدعاية المضادة. **ب- الانكماش التدريجي للمحافل.**

ج- إهمال الدولة.

أ- ازدياد الدعاية المضادة:

لم تشهد المرحلتان السابقتان (مرحلة التأسيس ومرحلة الاستقرار) دعاية مضادة مثلما شهدت في هذه المرحلة، وقد تركزت هذه الدعاية المضادة وانصبت على صلة الماسونية بالصهيونية.

ومهما حاول أصحاب الماسونية من اليهود وغيرهم في الدفاع عنها، والتظاهر بحيادها تحت شعاراتها المضللة الزائفة، فقد قدم أصحابها في مصر سنة ١٩٢٢ وما تلاها - وقودًا مهمًا لاشتعال هذه الصلة، وهي صلة أقل ما يقال عنها - في ضوء ما قدمناه وهو قليل من كثير - أنها جاءت نتيجة تشكيل اليهود مركز قوة كبير في المحافل والأوساط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل والفكرية والإعلامية أيضًا، وتسلل الصهاينة منها واستغلالها على النحو الذي حدث. ومهما كان

موقف إدريس راغب من تأثره بالضغط الصهيوني وادعائه ومن معه حسن النية في ذلك فليس من الممكن إعفاؤه من مسؤولية مساعدة الصهيونية والانقياد لرغباتها. ولو كان الأمر أمر تهدئة الخواطر في فلسطين وقتها، حتى يمر مولد النبي موسى بسلام، لما احتاج هذا الأمر إلى تلك الديباجة الطويلة، أو الزج بفكرة الوطن المشترك التي كان الصهاينة في مصر يروجونها في صحفهم، في سبيل كسب عطف المصريين على قضية الاضطهاد اليهود.

وقد نلاحظ أنه في المرحلة السابقة (مرحلة الاستقرار) قد ظهر نحو ٢٦ كتابًا مؤلفًا ومترجمًا عن الماسونية لم يكن بينها سوى كتابًا واحدًا ضدها [١]، ومع ذلك فهذا الكتاب ذاته لم يقتصر على الماسونية، وإنما تناولها ضمن الجمعيات السرية الأخرى، ولم يظهر في المرحلة الأخيرة منها سوى كتابين دعما العداء لها، وهما: الصهيونية والماسونية لعبد الرحمن سامي عصمت، والجمعية الماسونية: حقائقها وخفاياها لأحمد غلوش - إلا أن الماسون وعملائهم ركزوا في هجومهم الضاري على هذين الكتابين على أنهما لم يكتبا بطريقة علمية، وإنما غلب عليهما الإنشاء والتعميم والتحيز.

وإذا كانت الصحف الماسونية المتخصصة توقفت قبل بداية هذه المرحلة فقد بدأت الصحف ذات الاهتمام العام في نشر الدعاية المضادة للماسونية خلال هذه المرحلة الأخيرة. كما بدأت الصحف التي تمادت في تأييدها للماسونية في التراجع عن موقفها تحت الضغط الشعبي مثل " المقتطف " أو التخفيف من التمادي مثل " المقطم ".

فلقد كانت " المقتطف " - كما ذكرنا من قبل - أقرب إلى المنبر النظري للدعوة الماسونية، ولكنها ظهرت فجأة وبشكل يدعو للدهشة

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، لمحمد عبد الله عنان.

بموقف مضاد تمامًا في مارس ١٩٥٠، ففي عدد ذلك الشهر نشرت مقالاً دون توقيع بعنوان " فضائل الماسونية لا حرية ولا إخاء ولا مساواة " وفي هذه المقال تتلخص الدعاية المضادة خلال الرحلة على نحو أقل غوغائية مما نشر بعد ذلك، ويبدو من أسلوبه أن كاتبه نقولا الحداد الذي تولى تحرير المجلة خلال سنتي ١٩٤٥ - ١٩٥٠، وكان قد نشر بمجلة " الرسالة " عقب اشتعال الحرب في فلسطين سنة ١٩٤٨ سلسلة طويلة من المقالات ركز فيها على فضح تاريخ اليهود والصهيونية.

واستهل الحداد مقاله بقوله:

" الماسونية كما فهمناها هي جمعية يقال أنها سرية، ونحن نعلم إلا سر عظيم الشأن فيها أو مفيدًا للبشرية والحضارة سوى علامات الدرجات، ومؤامرات سرية مختلفة الأغراض، وفيما سوى ذلك فأصحابها يدعون أنها جمعية إنسانية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وهاتان الوصيتان من مزايا القرآن والإنجيل، ومن مبادئ النصارى والمسلمين، فإذا لم يكن للماسونية تعليم آخر أفضل من هذين التعليمين فلا لزوم لها، وإذا كانا الإنجيل والقرآن لم يرقيا الروح الإنسانية في البشر، فتعاليم الماسونية لا تستطيع أن ترقي البشر في الفضيلة والإنسانية ".

ومضى بعد ذلك فتحدث عن المسيحية والإسلام اللذين لا لزوم لقول بعدهما، وقال أن العالم لا تنقصه ديانة ولا جمعية تعليمية، وإنما تنقصه قوة سماوية تغير قلوب البشر، لكي يحبوا بعضهم بعضًا، وإذا كانت الماسونية تعلن السرية فالتعليم الصالح لا ينفع إلا معلنًا.

وأضاف " أن الماسونية بدعة يهودية لأغراض خاصة باليهود، وهي واسطة لا غاية، ابتدعت بدهاء فائق، وصبغت بصبغة السرية، لكي تستهوي الناس، لأن الناس بطبيعة نفوسهم يبتغون أن يعرفوا الأسرار "، أما مناداتها بالأخوة والمساواة والحرية فهي خرافة، لأننا لم نر منها منذ ظهورها عملاً إنسانيًا عظيمًا، وإنما رأينا جميع الثورات والحروب الأخيرة في

القرن الماضي. والقرن الحاضر قامت بدسائس ماسونية غرضها " إنشاء دولة صهيونية تنمو إلى أن تسيطر على العالم " واختتم الحداد مقاله: " بأن الماسونية استهوت الناس بخدعة الشعارات، ولم يدر هؤلاء أن هذه الخدعة لخدمة الصهيونية إلا لما ظهر الكتاب السري الذي يضم بروتوكولات حكماء صهيون... وفيه يصرحون بالصهيونية وباستخدام الماسونية لها، ومع أن اليهود تبرؤوا من هذا الكتاب، فقد ظهرت الحقيقة وهي أن الحركة الصهوينية قديمة جدًا، وغرضها تحين الفرص لإنشاء دولة إسرائيل الشاملة، وقد أثبتوا الماسونية لهذا الغرض ونجحوا ".

بل إنهم اخترعوها حيت يزيدوا صلابة صهيونيتهم، فجعلوها ثلاث فرق: الفرقة الرمزية العامة، المباحة للناس دون تمييز، والفرقة الملوكية التي لا يدخلها إلا الخاصة، وتصدر الأوامر للفرقة الأولى، والفرقة الكونية الأكثر سرية، التي لا يدخلها إلا النفر القليل من اليهود، وربما لا يعرف عنها أحد شيئًا سوى أعضائها، وهذه تستخدم الماسونيين الآخرين لإنشاء الفوضى في العالم على قاعدة فرق تسد، ليستطيع اليهود بواسطتها أن يعودوا إلى صهيون ".

كانت هذه آخر مادة تنشرها " المقتطف " عن الماسونية - بل إن كاتبها - وهو من أبناء الأقلية الشامية المسيحية - ما لبث أن ترك المجلة بعد قليل بسببها، ففيها خروج خطير على سياسة المجلة إزاء الماسونية، إذ أكدت على أن الماسونية واسطة لغاية، وبدعة يهودية تقف وراء جميع الثورات والحروب.

ب- الانكماش التدريجي للمحافل:

ترتب على الدعاية المضادة للماسونية من جهة، ما وما حدث لليهود في هجرات متتالية من جهة أخرى، أن انكمش عدد المحافل وأعضائها تدريجيًا بعد الحرب في فلسطين، حتى بلغ عدد المحافل الماسونية عند صدور قرار إلغائها سنة ١٩٦٤م نحو ٢٦ محفلاً، أي ما يوزاري نصف عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر المصري وحده سنة ١٩٢٩م، فإذا

علمنا أن عدد الـ (٢٦ محفلاً) هذا يمثل جميع الشروق الماسونية الإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية والمصرية، فمعنى هذا أن عدد المحافل انكمش بدرجة كبيرة. وإذا علمنا أيضًا أن هذا العدد يضم في معظمه محافل غير مصرية، فمعنى هذا أن عدد المصريين المنضوين تحت لواء الماسونية انكمش بدرجة كبيرة أيضًا.

ومع ذلك وفي ذلك المناخ وتلكم الظروف اختير فؤاد سراج الدين باشا سكرتير عام حزب الوفد، ووزير الداخلية سنة ١٩٥٠م أستاذًا أعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري.

وأصدر المؤتمر الماسوني المثالي المنعقد في بيروت في يونيو ١٩٥٠م قرارًا بتأييد المحفل المصري " برئاسة صاحب الشوكة معالي فؤاد سراج الدين باشا ".

ج- إهمال الدولة:

كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨م بداية الانحسار للماسونية في مصر، وبداية مرحلة جديدة شهدت العديد من التغيرات العنيفة، وعلى رأسها انقلاب النظام في مصر، وقد تجدر الملاحظة أن النظام الجديد الذي حل في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، لم يمس الماسونية على الفور، أو بالتدريج، مثلما مس جميع مؤسسات النظام القديم، فقد أهملتها الدولة. وتساقطت أوراقها، وانفض سامرها، ومع ذلك لم يحدث هذا كله دفعة واحدة، ففي يونيو ١٩٥٣م، أي بعد نحو عام من بداية النظام الجديد نشرت مجلة " الفن " تحقيقًا مصورًا بعنوان " **الفن يتسرب إلى القاعات السرية بالمحفل الماسوني** " : **تثبيت يوسف وهبي رئيسًا لمحفل الفنان المصري، وتكريس محسن سرحان.**

وجاء في هذا التحقيق المدعم بالصور:

" كان ذلك في مساء الثلاثاء الماضي، **وقد حفلت الدار الماسونية**

لجمهور كبير من الفنانين الماسـون، نـذكر مـنهم يوسـف وهبـي، ومحسـن سرحان، وفريد شوقي، وأحمد كامل مرسي، ومحمود المليجي، وفؤاد شفيق، وعبد السلام النابلسي، وحلمـى رفلـة، وحسـين ريـاض، ومحمـود فريـد، وعيسى أحمد، وعلى رشدي، وأحمد سعيد وغيرهم كثـيرون... ومـن فرجـة فتحت قليلاً شاهدنا محسن معصوب العينين، وقد وقف بين يوسف وهبي وعيسى أحمد. وكان كل منهما يرتدي الزي الرسمي للماسون، شاهرًا بيده سيفًا من الخشب، حلق به على رأس محسن سرحان، وأغلقت الفرجة، وانقطع كل اتصال بيننا وبين ما يجري في الداخل ".

ومن الواضح في هذا الكلام أن الفنانين لم يجدوا ما يمنعهم من هذه الظاهرة الماسونية،، وأن يوسف وهبي ورفاقه، شكلوا محفلاً طائفيًا، بمعنى الاقتصار على طائفة الممثلين، وفناني المسرح والسينما، ولا ندري إذا ما كان هذا المحفل نوعًا من أنواع المظاهر الاستعراضية ليس إلا، أم أن له طبيعة عمل أخرى.

وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر ١٩٥٦ تأثر موقف اليهود داخل البلاد بالطبع، وبدأت هجرتهم مرة أخرى في أعقاب العدوان، وأصدر المحفل الأكبر الوطني المصري قرار بوقف " نشاط الإخوان اليهود في الناحية الماسونية " ويبرر ذلك بأنه إبعاد " للشبهات والظنون عن العشيرة وخدمة لليهود الإخوان أنفسهم ". على حد تعبير صيغة القرار. وعندما هدأ الموقف أصدرت بعض المحافل بيانًا آخر طلبت فيه من اليهود " العودة إلى نشاطهم ". ولكن يبدو أن هذا البيان لاقى معارضة شديدة داخل المحافل الماسونية، وعده البعض غير قانوني، واستمسك البعض الآخر بالبيان الأول الذي قضى بتجميد عضوية اليهود، ويبدو أيضًا أن ذلك جاء بإيعاز من السلطات أو كنوع من حسن النية من جانب الأعضاء الماسونين المصريين من غير اليهود. وقد حذر قرار المحفل الأكبر - كما فسره هؤلاء - الإخوان الماسونيين

من المخالفة حتى لا تقع التفرقة والانقسام بين صفوف العشيرة.

وهذه التطورات الثلاثة كانت سلبية في الحقيقة من منظور الماسونية، وقد ساهمت - في الوقت ذاته - في بلورة تطور آخر سلبي، أو هو التطور الأخير إذا شئنا الدقة، ففي ١٨ أبريل ١٩٦٤ أصدرت وزيرة الشؤون الاجتماعية قرارًا بحل الجمعيات والمحافل الماسونية.

وهذا نص القرار كما نشرته " صحيفة الأهرام " في اليوم التالي:

" أصدرت الدكتورة حكمت أبو زيد، وزيرة الشؤون الاجتماعية أمس قرار بحل الجمعيات الماسونية، وهي:

المحفل الماسوني اليوناني، ومحفل خوفو في القاهرة، والمحفل الأكبر الوطني لوادي النيل بالإسكندرية وفروعه الإسماعيلية، وهي محافل إسماعيل وزيتون والمساواة، وجمعية الشرق الأكبر المصري وفروعها في بورسعيد، وفروعها في المحافظات بورسعيد والقاهرة والإسماعيلية، وهي محافل التوفيق وسولون، وفينكس، ولا يركيبون، والتحرير، وأوزوريس، وفيترا تيوس، ومقام سولون ولايرنيكون، والقومية، وجار يبالدى وجلوث، ومقام إيزيس، والوحدة، ومقام جلوت، وإسماعيل رقم ٢، وهرميس، وإيزيس، والجمعية الخيرية الماسونية بالمنصورة.

وينص القرار على أن تقوم مديريات الشؤون الاجتماعية بتعيين من يقوم بتصفية الجمعيات التي تقع في دائرة اخصتاصها، وتوجيه أموال الجمعيات الماسونية جميعها بعد التصفية إلى اللجان الفرعية لمعونة الشتاء في المحافظات التي تقع في دائرة اختصاصها هذه الجمعيات ".

يتضح من هذا القرار أن عدد المحافل الكائنة في ذلك الوقت بلغ ٢٦ محفلاً، وأن معظمها محافل يونانية، كما يتضح أن المحفل الأكبر الوطني نقل مقره من القاهرة إلى الإسكندرية، ولكن ربما تم ذلك النقل قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢. فلا توجد معلومات مؤكدة في هذا الخصوص.

وقد تـلا نشـر هـذا القـرار إقبـال الصـحف علـى نشـر تحقيقـات عـن الماسونية وأسرارها، وتجارب أعضائها السابقين، **وكـان ممـا نشرـته " الأهرام " أن سبب وقف نشاط الماسونيين هو أن:**

" اجتماعاتهم كانت سرًا مغلقًا حتى على الدول ". وأضافت الصحيفة أن مندوبي الشؤون الاجتماعية عثروا في المحفل الأكبر على سيوف، وخناجر، وكتب قديمة.

ونشرت مجلة " آخر ساعة " تحقيقًا بعنوان " سر خطير وراء حل الجمعيـة الماسـونية " جـاء فيـه: " عنـدما طلبـت الجمعيـات الماسـونية بالجمهورية العربية المتحدة تسجيل تنظيماتها بوزارة الشؤون الاجتماعية طلب منهم المسؤولون تطبيق قانون الجمعيات عليها.

وهذا القانون يحتم خضوع كل الجمعيات داخل الجمهورية لإشراف وزارة الشؤون الاجتماعية. ويكون للمسؤولين في الوزارة حق التفتيش على أعمال الجمعية للتأكد من عدم مخالفتها للقانون، ورفضت الجمعيات الماسونية ذلك لأنه يتعارض مع السرية التامة التي تعيش فيها، فقررت الحكومة إلغاء الجمعيات الماسونية في مصر، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لإلغاء الجمعيات الماسونية، **إن أمن الدولة وسلامتها اقتضيا إلغاء هذه الجمعيات أيضًا، فقد قررت الصهيونية استغلال المحافل الماسونية في جميع أنحاء العالم لمزاولة نشاطها بضمان سرية ما يجري داخل هذه المحافل ".**

ومعنى هذا أن المحافل الماسونية هي التي طلبت التسجيل في وزارة الشؤون الاجتماعية المختصة بنشاط الجمعيات والأندية بجميع أنواعها، فلما واجهتها الوزارة بضرورة تطبيق القانون رفضت بحجة السرية، ولكن من الواضح أن قرار إلغاء المحافل كان ذا سبب سياسي، وهي ما فسره محررة آخر ساعة، باستغلال الصهيونية للمحافل الماسونية. ومع ذلك لم يكن هذا الاستغلال ابن ساعته، ولا نعرف إن كان صدر به قرار صهيوني أم لا، ولكننا من تجربة ١٩٢٢م التي تحدثنا عنها من قبل

نستطيع الجزم بأن استغلال الصهيونية للماسونية مسألة قديمة.

غير أن هذا القرار، وما تلاه من إعلام متحمس متزايد ضد الماسونية، كان له صدى واسع في البلاد العربية التي كانت محافلها تحت رعاية المحفل الأكبر المصري، مثل سوريا، ولبنان، وفلسطين، والعراق. فقد قررت سوريا إغلاق المحافل الماسونية في أغسطس ١٩٦٥م، وفي ذلك الشهر قرر لبنان إلغاء عقد المؤتمر الماسوني العالمي، الذي كان مقررًا عقده في بيروت، خوفًا من تسلل العناصر الصهيونية، وأصدر الماسونيون في الأردن بيانًا اعترفوا فيه: " باستغلال الصهيونية للماسونية العالمية استغلالاً مجرمًا في أبشع صورة عرفتها الإنسانية "، وقرروا إنشاء منظمة ماسونية باسم " الحركة الماسونية العربية " للبعد عن الاستغلال الصهيوني، كما قرروا الإبقاء على الصلة مع المحافل العالمية الصديقة، من أصل أنصاف عرب فلسطين ونصرة قضية اللاجئين، ومع ذلك أصدر مفتي الأردن العام فتوى بتحريم الدخول في الماسونية، بدعوى أنها بدعة يهودية، تقدم الأخوة الماسونية على الأخوة الدينية والقومية وأن الله ينهي عن موالاة الأعداء، وكان العراق قد سبق الجميع فأغلق المحافل الماسونية (عشرة محافل) على أثر ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨م.

ولعلك عزيزي القارئ تشاركني الرأي في أن ما حدث في مصر يدعو إلى التساؤل الممزوج بكثير من الدهشة والحيرة.

لماذا تأخر قرار الحكومة المصرية بإغلاق المحافل الماسونية إلى سنة ١٩٦٤م.

وإذا كانت هذه المحافل رفضت التفتيش عليها بحجة تعارض هذا مع السرية التامة التي تعيش فيها فلنا بالتالي أن نتساءل عن مصير سجلات ووثائق هذه المحافل؟! هل استطاعت المحافل تهريبها أو تسريبها أم أنها أعدمتها؟! أم استطاعت الدولة ممثلة في حكومتها الثورية الاستيلاء عليها؟! وما هي نتيجة التحقيقات الذي كان من المفترض أن تجري في مثل هذا الخصوص؟! ولماذا لم يجب أحد على هذه الأسئلة حتى الآن وظل - ولا زال - الأمر كله في طي الكتمان ولمصلحة من؟! ولماذا تم

السماح بانتقال نشاط هذه المحافل إلى أندية الروتاري، والليونز؟ رغم أنه لا يخفى على أحد أنها بنات الماسونية وفروعها في العالم، وتحمل نفس المآرب والأهداف؟!

هل قدمت الماسونية أو بناتها لمصر عملاً خيريًا مفيدًا، هل تركت أثرًا يدل على ما ينادي به أصحابها من مبادئ البر والإحسان؟ هل شاركت حقيقة الحركة الوطنية في مقاومة الاحتلال؟ وهل شاركت الحكومات الوطنية في دعم أو تنمية اقتصاديات البلاد؟

كل هذه الأسئلة الأخيرة جوابها واحد هو النفي.

لقد بدأت الماسونية في مصر - كما رأينا - بحجة رعاية مصالح الأقليات الأجنبية التي أسستها، ولما ازدادت فيها نسبة الأهالي، بدأ التطلع - تحت مظلة السرية - إلى تحقيق أهداف ذات طابع سياسي كما حدث مع الأمير حليم، الذي حاول استغلال الماسونية في الوصول إلى الحكم، وكما حدث أيضًا مع الأفغاني الذي حاول استغلالها في التخلص من الخديوي إسماعيل، وتثبيت ولاية ابنه توفيق، وكان ذلك في الحالتين أشبه بحركة " اللوبي " أو قوى الضغط ومراكز القوة في السياسة، ثم انتهت تلك المرحلة التي حاولت فيها الماسونية أن تؤسس في مصر بالاحتلال الإنجليزي.

وبدأت مرحلة الاحتلال وكان من الطبيعي أن تنضوي تحت لواء الإنجليز لسببين:

أولهما: أن معظم أعضاء المحافل أجانب، والآخر أن الإنجليز أول من أسس الماسونية في العالم، وهكذا تميزت تلك المرحلة باستقرار الماسونية وتوسعها وازدهارها من جهة، وابتعاد الحركة الوطنية عنها، على عكس ما حدث في المرحلة السابقة لها، ونتيجة لهذه الظروف نجح اليهود - بازدهارهم وتحالفهم مع الإنجليز - في الاستفادة منها في تحقيق أحلامهم الصهيونية حتى سنة ١٩٤٨، وفي مرحلة الانحسار تعرضت المحافل الماسونية للانحسار، وتحول الكثير من أنشطتها إلى فروعها وبناتها من أندية

الروتاري والليونز... إلخ.

وفي كل هذه المراحل الثلاث لم تترك المحافل الماسونية أثرًا طيبًا على المستوى العام، اجتماعيًا أو سياسيًا، ولم تكف أياديها عن العبث السياسي، ولم يبق منها في النهاية سوى سوء الذكر وآلاف الصفحات، وأبيات الشعر التي دبجها المخدوعون بها، أو الذين في قلوبهم مرض، أما على المستوى الفردي فربما أحسنت على كثيرين مما يطلق عليهم العميان، وسهلت مصالح الكثيريين منهم أيضًا، ولكن هذا لا يبقى في التاريخ كما تبقى المصالح العامة الوطنية والقومية للأمم والأوطان.

إن أي قارئ عادي للتاريخ يعلم أنه عاشت ولازالت تعيش بيننا وفي كثير من بلاد العالم مئات الحركات الفكرية والعقيدية التي تسعى لنشر مبادئها وأفكارها، منها ما اندثر، ومنها ما يحول البقاء بكل ما لدى الإنسان من قدرة على التكيف والتلاؤم البيولوجي والاجتماعي معًا، ولكن ما هذه الماسونية التي استطاعت أن تعمر طويلاً كل هذا العمر بل وإنشاء فروع لها (أندية الروتاري - الليونز - الاتحاد والترقي... إلخ) واستطاعت أن تستقطب الفعاليات العلمية الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وأن ينتظم في عقد منظومتها، النخبة القادرة على اتخاذ القرار وتنفيذه معًا.

كما قد تجدر الملاحظة أن أي قارئ للتاريخ بشيء يسير من التأمل يجد أن أغلب النخبة الحاكمة في مصر منذ مرحلة التأسيس وعلى رأسهم حكام مصر سواء كانوا ملوكًا أو رؤساء كانوا على صلة بالمحافل الماسونية، أو أنديتها، سواء كانت هذه الصلة عن طريق العضوية العاملة أو الفخرية، سواء لهم أو لأسرهم، فلقد رأينا أنه منذ تولي الخديوي إسماعيل الحكم في مصر وما تلاه، وحتى حكم الملك فاروق، كان ملوك مصر على صلة وثيقة بالمحافل الماسونية، سواء كان ذلك بالانتماء العضوي، أو الرئاسة الفخرية، ومعهم في ذلك نخب مصر- من رؤساء للوزارات، ووزاء، وكتاب،

ومفكرين، وفنانين، وأدباء، وشعراء، وحتى بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٤ الكثيرون من هذه النخب ينتمون أو على صلة وثيقة بالمحافل الماسونية، وبعد عام ١٩٦٤ انتقلت أنشطتهم إلى أندية الماسونية (الروتاري، الليونز... إلخ) رغم ما يدور حولها من شبهات.

وغير خاف عزيزي القارئ أن هذا الكم الهائل من نخب أسماء المصريين والعرب الذي أوردناه، وسنورده لاحقًا في هذا الكتاب، قد يعتبره البعض مبالغة أو تضخيمًا في قوة الماسونية الصهيونية ونفوذها الخفي داخل بلادنا. ولكنني أقول أن هذا الكم الهائل من أسماء هذه النخبة إنما يعني ضخامة البلوى التي أصابت الضمائر والنفوس، والضياع الذي تعيش في الأمة، والغيبوبة التي اكتنفت أبناءها، حتى أصبحوا لا يميزون بين العمل والوطني والعمالة، ولا بين المصالح الذاتية والخيانة، ولا بين الدينيين واللادينيين. **فالمبالغة أو التضخيم في تصوري ليس في قوة الماسونية الصهيونية، وإنما في استضعاف العرب والمسلمين أمام الصهاينة والصهيونة**.. وهذا التصور ليس إلا إجابة موجز لا تخرج عن كونها مثابة توصيف للواقع الفكري والثقافي والسياسي، بينما الواقع الاجتماعي والاقتصادي ما هو إلا إفراز لفساد الضمائر والنفوس والذمم، وتفشي الظلم، وافتقار العدل، وهو أضخم من أن يوصف بكلمات أو سطور، ولكن قد يكفينا هنا أن نشير إلى أن مجموع أزمات الأمة ومشكلاتها في مختلف مناحي الحياة، ما هو إلا نتاج مجموع توجهات وأطماع ومفاسد من تولي أمور هذه الأمة في العصر الحديث، بدءًا من الملكيات الفاسدة، ومرورًا بالاشتراكية غير المعنونة أو محددة الملامح والقومية الناصرية، وانتهاءً بالرأسمالية الغير معنونة أيضًا أو محددة المعالم إلا بالصبغة العلمانية المستغربة.

ولا جرم أن نشير إلى أن هؤلاء جميعًا - باستثناء ثلة منهم لا تؤثر على صدق الظاهرة - جمعتهم عضوية منظمة دولية (سواء كانت هذه

العضوية عاملة أو فخرية) أقرت جامعة الدول العربية وفقهاء الأمة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية، والأزهر الشريف بأنها منظمة ماسونية صهيونية، وهي منظمة روتاري الدولية التي يضم بكتابها ومجالس إداراتها في مصر أكثر من ٢٥ فرعًا (ناديًا) تغطي كل أنحاء مصر.

تلك العضوية التي لم يبرأ منها حتى بعد سقوط الملكية وقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ رؤساء مصر الثلاثة، عبد الناصر، والسادات، ومبارك، وأغلب من تولوا الوزارات في عهودهم - إلا من رحم ربي -.

فهذا جمال عبد الناصر في ذروة المد العربي الثوري والوحدة العربية عام ١٩٥٩ يمنح وسام الاستحقاق إلى كليفورد راندال رئيس منظمة روتاري الدولية عند زياته القاهرة في الفترة من ٨ - ١٩٥٩/٤/١١م وبرفقته زوجته وابنته " يهوديت " وابنه " ويليام " حيث قام بزيارة القصر الجمهوري، وكان في استقباله على باب القصر الجمهوري على رشاد كبير الياوران لتسجيل اسمه في سجل التشريفات، وزف إليه حسين ذو الفقار صبري وزير الشؤون الخارجية في هذه الزيارة بشرى رعاية الرئيس جمال عبد الناصر لمؤتمر المنطقة الروتارية (التي تشمل المنطقة العربية) الذي يعقد في مدينة حلب التابعة للجمهورية العربية المتحدة آنذاك.

ومما هو جدير بالذكر حول تلك الزيارة هو ذلك الحفل الرسمي الساهر الصاخب الذي أقيم لرئيس الروتاري الدولي بفندق هيلتون النيل، حيث شهد الجميع عروضًا راقصة منها عروضًا راقصة صاخبة للراقصة نجوى فؤاد (التي وصفها راندال بالساحرة) استمر حتى فجر اليوم التالي، إذ كان راندال وأسرته يستعدون لمغادرة البلاد في الصباح متوجهين إلى القدس المحتل - وفي القدس كان في استقباله - بالطبع - أغلب أعضاء الكنيست الإسرائيلي، وقيادات وزعماء إسرائيل والحركة

الصهيونية [١].

ويقول الدكتور/ محمد علي الزعبي في كتابه " الماسونية في العراء " الصادر في عام ١٩٨٣، من دار نشر " دار الجميل " بيروت، تحت عنوان " ماسونية جمال عبد الناصر " :

(".. رأى أبو راشد في دائرة معارفه جمال عبد الناصر ماسونيًا، ونشر صورته دون وشاح أو وزرة، وما أن استوضحته حتى قال: نحن خلقناه... ").

ويقول لنا محمد فهيم أمين المحامي في كتابه " الأهداف المعلنة والأسرار الخفية لأندية الروتاري والماسونية " الصادر من دار الفكر العربي عام ١٩٨٩ أنه بعد صدور القرار ٤٩ لسنة ١٩٦٤ بحل الجمعيات الماسونية إبان فترة حكم عبد الناصر لفرضها التفتيش عليها بحجة تعارض ذلك مع منهجها في أداء أعمالها بسرية تامة - كما قدمنا من قبل - أنه لوحظ عند جرد محتويات هذه المحافل أن جميع أدوات المحافل تحمل النجمة الإسرائيلية، وتوابيت ونقودًا قديمة، وسيوفًا وخناجر، كما وجدت أعمال تمثل أسباط إسرائيل الاثنى عشر، وجميع ما بالمحافل من لوحات وأعلام وأثاث ومطبوعات تتسم بطابع إسرائيلي، كما تبين أن جميع المستندات والسجلات كان قد تم تهريبها، أي أن المسؤولين في هذه المحافل كانوا على علم مسبق بقرار الحل.

ولكن محمد فهيم لم يوافنا بمصدره في نقل هذه المعلومة، أو أي سند عنده يؤكد على ما لاحظه... خاصة وكما قدمنا من قبل أن هذه الوقائع لم يجر فيها نشر أي تحقيق قضائي حتى الآن، وإنما ظل يحوطه الكتمان والسرية البالغة حتى الآن.

وهذا أنور السادات الذي حصل في عام ١٩٧٩ على ميدالية " بول هاريس " وهي من أعلى درجات الترقي في منظمة روتاري، لا يحصل عليها إلا من قضى فترة طويلة في عضويتها، ويسدد ١٠٠٠ دولار يوم حصوله عليها [٢].

(١) تراجع في ذلك (Rotary Bulletin) العدد ١٨٨ في مارس ١٩٥٩، والعدد ١٩١ في يونيو ١٩٥٩.

(٢) تراجع مجلة روتاري العدد ٢٨٦ في أغسطس ١٩٧٩.

وجاء في صحيفة الأهرام المصرية في ٦/ ٤/ ١٩٧٨ حول مؤتمر الروتاري لمنطقة الشرق الأوسط الذي عقد في الإسكندرية واشترك فيه نحو ٢٠٠ من قادة الروتاريين في مصر، والسودان، ولبنان، والأردن، والبحرين، تحت رعاية الرئيس أنور السادات، وبحضور ممدوح سالم رئيس الوزراء آنذاك، ومحب إستينو وزير السياحة، وروبرت مانشستر ممثل الروتاري الدولي، وأن الدكتور جمال الدين مسعود محافظ منطقة الروتاريين أرسل ببرقية شكر لأنور السادات لوضعه المؤتمر تحت رعايته، وكانت هذه البرقية بمثابة رد على برقية بعث بها السادات إلى مؤتمر الروتاري بالإسكندرية قال فيها: أنه يأمل أن يسود السلام كل العالم، وأن تتوجه الجهود في بلدان العالم إلى توفير الطعام والأمن للشعوب بدلاً من المدفع والدبابة، كما أشاد السادات بمبادئ الروتاري التي تقوم على اعتزاز كل عضو بعمله، وهو ما يدعو إليه في مصر [1].

وقد نتساءل بعد هذا الاستذكار أن نتساءل أين موقع أنور السادات في منظمات وحركات الماسونية، والروتاري، والليونز في جمهورية مصر العربية؟

هذه الجمعيات السرية المشبوهة، التي كشفها وفضح مراميها الثقاة من مفكري مصر- ومنطقتنا العربية، ومنظماتها محل الثقة، كمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومجمع البحوث الإسلامية، والأزهر الشريف، ومفتي الديار المصرية والعربية... والمراسيم البابوية.. إلخ.

وتحت عنوان " دائرة المعارف الماسونية تثبت ماسونية السادات "، يقول الدكتور/ حسين عمر حمادة في كتابه " شهادات ماسونية " الصادر من دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٧٩م.

(" في دائرة المعرفة الماسونية المصورة يشهد حنا أبو راشد في الجزء الأول ص ٣١٧ - ٣١٨ أن المجلس السامي الثالث والثلاثين السوري العربي اجتمع يوم ٢١/ ٢/ ١٩٥٨ وقرر اعتماد الأخ/ أنور السادات، كأستاذ أعظم شرفي في المحفل الأكبر السوري العربي.

ثم أخيرًا كان الرئيس مبارك الذي بلغ عدد نوادي الروتاري إبان

(١) تراجع صحيفة الأخبار المصرية، عدد ١٩٧٨/٨/١٤.

حكمـه ٧٥ناديًـا علنيًـا - ومنحتـه منظمـة روتـاري بـولايتي واشـنجتن وميربلاند شهادة " رجل العالم " [١].

كما منحوا زوجته " ميدالية بول هاريس " التـي هـي مـن أعـلى درجـات الترقي في منظمة روتاري العالمية - كما تقدم ذكره - ولا يحصل عليهـا إلا مـن قضى فترة طويلة في عضويتها.. وهي حتى قبيل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ الرئيس الفخري لأندية الروتاري بمصر، وهي نفس العضوية، ونفس الميداليـة اللتـين حصلتا عليها جيهان رؤوف زوجة الرئيس السادات من قبل [٢].

وقد يجدر الذكر هنا بأن سوزان مبارك حصلت على عضوية الروتـاري عام ٢٠٠١ مع ابنها جمال (الذي كان يعد لوراثة أبيه في رئاسة الجمهوريـة) ومن المعروف أن والدة سوزان مبارك هي " للي شارل هنري بالمر " بريطانية كاثوليكية من أصل يهودي، ووالدها صالح ثابت مصري، وهناك من يقول أن اسمه الحقيقي ثابت غبريال - وأن أبنـاء مبـارك جمـال وعـلاء يحملـون الجنسية المزدوجة البريطانية والمصرية.

ومـن الملفـت للنظـر ويثـير الدهشـة والاسـتغراب في ذات الوقـت أن الصحفية الأستاذة/ رحاب عبد اللطيف قد أتت لنا في كتابها " الماسـونية " بصورة تذكارية للرئيس السابق وهو في المحفل الماسوني الأكـبر في مصر في الخمسينيات، وإذا صح ذلك فإنه يعني أن مبارك ضالع في الماسونية منذ أمد طويل، وأنه وصل إلى أعلى درجات الترقي فيها، مما يرتب على ذلـك نتـائج غاية الخطورة، خاصة وأنه تولى رئاسة الجمهورية في مصر لأكثر من ثلاثـين عامًا، ومن قبلها نائبًا للرئيس لسبع سنوات، فهل كان اختيار السـادات لـه كنائب للرئيس مبنيًا على هذا الأساس ومن هذا المنطلق...؟!

ومما يزيد الطين بلة أن شريك مبـارك ومـدير أعمالـه وصـديقه الحمـيم ورجل الأعمال الهارب الذي قام بتهريب أموال مصر باسم مبارك للخـارج قد أوردت عنه أيضًا الصحفية/ رحـاب عبـد اللطيـف في كتابهـا المـذكور

(١) صحيفة الأخبار في ١٩٩٠/٥/٢

(٢) نشرة نادي روتاري القاهرة العدد ٢١ في ١٩٧٩/١٢/٢٥.

" الماسونية "، تحت عنوان: " حسين سالم ماسوني وعميل لإسرائيل " ما يلي:

(" أعلنت جريدة الوفد عن حصولها على المستندات التي تؤكد تورط رجال الأعمال الهارب حسين سالم في علاقة مع عميل بجهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد) من خلال شريكه الإسرائيلي في شركة غاز الشرق الأوسط (التي تبيع الغاز لإسرئيل بثمن بخس) وزوجته القيادية البارزة بالموساد، ونشرت الوفد صورة جواز السفر لشريك سالم الإسرائيلي وزوجته، وكان سالم يجتمع بهما بصفة مستمرة في منطقة الجولف بشرم الشيخ، وتحديدًا بمجموعة الـ ٢٥ فيلا التي قام بتجهيزها لضيوفه المهمين، والتي أقام فيها الرئيس المخلوع حسني مبارك لفترة، قبل نقله إلى المستشفى والتحفظ عليه هناك.

لم يك الكثير من حياة حسين سالم صديق الرئيس المخلوع مبارك معروفًا سوى أنه متزوج من سيدة مصرية، أنجب منها خالد، الذي يتصدر الوجهة الإعلامية، والمتحدث الرسمي باسم أسرة حسين سالم، ونائب رئيس مجلس إدارة شركات الأب، والعضو المنتدب لها، وابنته منى، لكن في حياة حسين سالم زواج سري صاخب، حيث كان سالم يهوى الفتيات الرومانيات، والروسيات، ذات الجمال الصارخ، وأن تكون أعمارهن في العشرينات، بحيث يعدن إليه شبابه كما يقول لهن.

وقد حصلت الوفد الأسبوعي على صورة ضوئية، وصورة لجواز سفر زوجة حسين سالم الرومانية التي تزوجها بعدما كانت تعمل مطربة، وراقصة في فرقة الأليميشن بالفندق الذي يملكه سالم بشرم الشيخ، وبعد أن رآها حسين سالم تزوجها، وسافر معها إلى رومانيا، وأنشأ لها مركزًا تجاريًا في العاصمة الرومانية بوخارست بتكلفة ٢٥٠ مليون دولار، واشترط عليها عدم مزاولة الرقص على أن تكتفي بزيارته لها على فترات في بلدها، وأشارت المصادر إلى أن حسين سالم قام بتهريب أمواله عن طريق هذه الزوجة الرومانية.

* * *